الحالات : كان الجيش الانجليزي وراء خطوط الجيش المصري . وكان السلاح في يد الانجليز والفرنسيين . وكانت خطة المعركة العليا مرسومة بحيث تقف عند الحدود المحددة من دول الغرب ، سواء بوعي من حكام العرب او بعدم وعي منهم ، فالنتيجة سواء .

لذلك شهدت المنطقة مدا جديدا من منابع جديدة غير منابع الحكومات والاحزاب بين الحربين . من الاخوان المسلمين في اقصى اليمين الى الشيوعيين في اقصى اليسار وما بينهما ، ومن الاحزاب الانقلابية المدنية الى المنظمات العسكرية بين الضباط الشبان . في هذه الساحة الواسعة ظهرت موجة سياسية جديدة ، مهما اختلفت في أهدافها ووسائلها فهي في النهاية ، كما قلت قبل قليل ، أكثر جذرية ، واكثر ثورية ، من كل ما عرفته المنطقة قبل أن تلمس المأساة الفلسطينية الضمير العربي .

كذلك عادت تلك الحركات الى اقطارها ، أكثر جذرية ، من حيث وعيها الاجتماعي. فقد نبهتها هذه الصدمة الى واقع حياتها الاجتماعية المر ، فاشتد وعيها بالبؤس الغارق فيه شعبها ، والظلم الاجتماعي المفروض عليه ، فولدت هذه الحركات حاملة اهدافها الجديدة ، اشتراكية وغيرها ، ولكنها تستهدف بوجه عام مجتمعا اكثر عدالة. وصار هذا أحد محاور الصراع الاساسية في العالم العربي خلال الحقبة التالية ، بعد ان كان الصراع محصورا في النطاق السياسي التقليدي الذي هو السلطة والبرلمان الشكلي والحكومة الصورية ومقاومة الاحتلال الاجنبي . وقد أمده هذا بقوة اجتماعية وجماهيرية لم تكن موجودة من قبل . وتغيرت خريطة الحياة في المنطقة تغيرا عميقا .

وليس معنى هذا ان هذا التحول الى الجذرية لم يكن ليحدث لولا قضية فلسطين ، فالتطور التاريخي آخذ مداه عبر شتى الظروف ، ولكن هذا لا يمنع من القول على وجه اليقين ان قضية فلسطين وأثرها في الضمير العربي هو الذي عجل بهذا التطور ، وهو الذي فجره ، وهو الذي اعطاه شرعيته حين أعطاه السبب القوي المباشر المقبول لدى الجماهير ومعظم فئات المواطنين .

ولم يكن أقل اثرا من تعرف الضمير العربي عبر فلسطين على نفسه ، اثر آخر بالغ الاهمية وهو : تعرفه على العالم الذي يعيش فيه .

كان العرب يعرفون ما يكفي عن شرور الاستعمار القاهر ، بأساطيله وقواعده وجنده . ولكنهم لم يكونوا يعرفون كل شيء عن حقائق عالم العصر الحديث وأسلحته ووسائله الجديدة . كان ساستنا يتجولون في دهاليز المحافل الدولية كالقرويين الذين هبطوا المدينة الصاخبة لاول مرة فهم لا يعرفون مسالكها ولا سبل التعامل فيها ، بينما كان الاسرائيليون يجوبون هذه الدهاليز ذاتها عالمين بها ، خبيرين بخباياها ، مدركين لكل وسائلها واحابيلها .

كان العرب يعرفون من عالم العصر الحديث كل مظاهره الجميلة ، وكل انجازاته في تحقيق المزيد من الديمقراطية ورفع مستوى المعيشة في هذه البلاد أو تلك . ولكن الجراحة الاسرائيلية ، الجراحة التي تمت في الجسد العربي ، أذاقت العرب مرارة هذا العصر الحديث وعلمتهم الجانب الاخر منه ، الذي هو جبروته وقسوته وسيطرة شريعة الغاب فيه . وعلمتهم ان حركات التحرر في العالم كله لها هدف واحد وان عليها ان تتساند وتتلاحم لقهر عدو واحد يؤمن بأن الحق للقوة ، ويرفض ان تكون القوة للحق .